سبعة وعشرون

قمراً

رأت قمر السماء فذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين

إن للقمر مكانة خاصة في أدب العرب . وليس ذلك بمستغرب في قوم تتفجر ينابيع الشعر في نفوسهم فالقمر في الصحراء يلقي على الكون ظلالاً من ضياء تبدي معالم الأشياء دون تفصيلاتها ، ويخلق أشباحاً تذكي الخيال وتحفز الشعور . وهو رقيب يخشى العيون إن يفضح سرورهم ، وهو ملتقى نواظر الأحباب فرّق بينهم النوى . ثم إن ضياءه الفضي وإكليله بدراً وهو يخس في ضوئه من برودة الهواء بعد حر الهجير ، تجعله خير ما يشبه به وجه الحبيب ، وخصوله خير ما توصف به الفجيعة بفقده

كل ذلك وللأرض قمر واحد ، فكيف لو كان لها تسعة أقمار كالمشتري وكزحل ثم كان يصدق حينئذ قول امرئ القيس : « ألا إن النجوم تضيء مرة كل قرن بيانٌ للناس في أمره يشعرون برؤيتها ؟ » وهذا الخيال لو عني الدكتور زكي مبارك بدراسة مكانة القمر في الأدب العربي دراسة مفصلة ، إن ذلك كفيل بأن يخرج لنا فصلاً ممتعاً في الأدب وفي نفسية الشعراء

ولكن هذا القمر الذي يضيء علينا هلالاً وبدراً ، ويستتر به عند ما يراه هلالاً وحين يصبح عزيز علينا ، ليس بالقمر الوحيد في هذا الكون الرحب . بل هناك سبعة وعشرون قمراً متفاوتة الأقدار وأضواء على ما نعلم

أما أن يكون هنالك سبعة وعشرون قمراً في كون شموسه وكواكبه بعد الشمس عن الشمس بالأمر المستغرب . بل المستغرب ألا يكون فيه ثلاث وألوف وألوف وألوف من الأقمار . لأن هذه الأقمار المعروفة ، تابعة سيارات شتى وحدة فقط ، وعدد الشموس في مجرة يبلغ مئة ألف مليون بحسب رأي العلماء ، دع عنك ألوف وملايين المجرات الأخرى

إن هذه الأقمار التسعة والعشرين تابعة جميعاً لأسرة صغيرة في الكون ، هي الأسرة المعروفة بالنظام الشمسي . قلبها هذه الشمس التي تستضيء بضيائها ، ويدفأ بحرارتها ، وتتغذى بما يركبه ذلك الضياء في أوراق النبات من غذاء . وحول الشمس تدور طائفة من السيارات . رضنا أحداها ،

هي عطارد أقربها الى الشمس فالزهرة فالأرض فالمريخ فالمشتري فزحل فأورانوس فنبتون فبلوطو

ولمعظم هذه السيارات توابع ، وقد دعي تابع الأرض قمراً ، فأطلق على توابع سائر السيارات . فدراسة الاقمار محصورة في نطاق ضيق من رحب الكون يشتمل على شمسنا وسياراتها فهل لشمسنا دون غيرها من الشموس سيارات ؟

سؤال لا يمكن الرد عليه بالرصد والمشاهدة الآن . لأن اقرب شمس من شموس المجرة الينا لبعد اربع سنوات ضوئية تقريباً . والسنة الضوئية في عرف علماء الفلك هي المسافة التي يجتازها الضوء في سنة كاملة ، سائراً بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية ! فاذا فرضنا أن تلك الشمس تشبه شمسنا حجماً وكتلة ، فليس بالمستغرب أن نعجز عن رؤيتها — وهي تبعد عنا أربع سنوات ضوئية — اكثر من نقطة مضيئة ، او قرص مضيء في الفضاء ، وليس بالمستغرب أن نعجز عن رؤية سياراتها اذا كان لها سيارات تدور حولها ، لأن السيارات أصغر جداً من الشمس التي تدور حولها وليس لها ضياء ذاتي . فاذا كان لهذه السيارات توابع او أقمار ، صح لنا أن نقول ان أدوات الرصد عاجزة عن رؤيتها والراجح انها ستبقى كذلك

قلنا ان أقرب السيارات الى الشمس السيار عطارد وليس له ولا للسيار الذي يليه اي الزهرة ، قمر يدور حول أحدهما . ثم يليهما الارض مثوى الانسان ، والارض لها قمر كبير بالقياس الى كتلتها وصفته المميزة أنه أقرب الاقمار الستة والعشرين الى الشمس

وورا الارض سيار رابع له مكانة خاصة في المباحث الفلكية الحديثة وهو المريخ ومكانته ناشئة عن أن بعض العلماء ذهب الى انه مثوى للحياة . وقد زعم أحدهم أن على سطحه كتابة شتى أميز أحرف الأصول الهندسية . ومع ان العلماء المحدثين لا يميلون الى الاخذ بهذا الرأي ، لأنهم يكادون يجمعون على توافر أحوال تؤاتي بعض الاشكال الحية الوضيعة على سطحه

لهذا السيار قمران أحدهما يدعى « ديموس » والثاني « فوبوس » فقطر الأول نحو عشرة اميال وقطر الثاني اقل قليلاً من اربعين ميلاً وهما يتنازعان « فوبوس » وهو اقرب القمرين الى السيار ، أنه اقصر توحيداً في الفلك الشمسي الذي يدور حول سياره في زمن اقل من الزمن الذي يستغرقه السيار في الدوران على محوره . فالقمر يدور حول المريخ في سبع ساعات و٣٩ دقيقة ، حالة ان المريخ يدور على محوره في اربع وعشرين ساعة و٣٧ دقيقة وهذا يعني انه بدلاً من ان يشرق في الشرق ويغرب في الغرب ، يراه الراصد على سطح المريخ يشرق في الغرب ويغرب في الشرق .

ويلي المريخ في ترتيب السيارات المشتري ، وهو سيار جبار قطره يفوق قطر الارض إحدى عشرة مرة . وللمشتري تسعة اقمار ، خمسة منها صغيرة تصعب رؤيتها حتى بالمراقب .

[البقية في باب الاخبار العلمية]

وبلاد آنس . وحبوب هذا الصنف منتظمة وبيضية الشكل للغاية ، تكاد لا تختلف الواحدة عن الثانية بالطول والعرض . وهي بانطية ايضاً في الدرجة العليا . ولا تنبت زراع هذا الصنف يستجلون بتقشيره وارساله الى أماكن البيع فيخسر من طيبته قسماً كبيراً . لان البن مهما يكن جنسه ونوعه لا يجود ما لم يترك قبل التقشير محوسة اشهر على الاقل ريثما يجف . و(الصنف الثاني) البن الشامي الذي يحصل في بلاد اليمن الشمالية كقضاء حجه وجبل رازح في انحاء خولان الشام . والبن الذي يحصل في انحاء عفار وبيت قدم يحسب ايضاً من هذا الصنف . وكل حبوب هذا الصنف كروية الشكل الا ان عفار فانه يضي قليلاً . و (الصنف الرابع) البن العدني الذي يحصل في بلاد اليمن الجنوبية كانحاء عدن ولحج وآب والحجرية . وهي أوطأ أنواع البن اليماني بانطية والقيمة ترسل الى الخارج عن طريق عدن ومخا . و(الصنف الخامس) البن الذي يحصل في الاماكن المتوسطة ما بين التهائم والنجود كانحاء برع وخشاش وملحان وحجور وريمة وبن زريمة يعادل البن العدني بالقيمة . أما بن خشاش وبرع وملحان فهو أوطأ انواع البن اليماني بلا خلاف . ولا بدَّ من التنويه بأن تجار البن في أسواقه العالمية المعروفة اذا اشتروا البن الذي يحصل في جزيرة ترتينك وهو أجود وأعلى انواع البن الاميركي بأربعة قروش فانهم يشترون البن اليماني المنتسب الى الصنف الخامس بسبعة او ثمانية قروش ناهيك ما يدفعونه للاصناف التي فوقه . ويذكر ان في قضاء عامر من لواء عسير بن أعلى بكثير وأطيب من الصنف الاول الذي ذكرناه ، بل في كل بن العالم على الاطلاق ، وحبوبه كروية ومثل حب اللؤلؤ ولا تختلف الواحدة عن الاخرى قط

ومما يذكر تزيد الأسف ان محصول البن في اليمن كله ليس من الكثرة والقدر الذي يحسد عليه . فقد قيل ان جميعه لا يتجاوز ٨٥٠٠ عدة . والعدة عندهم زنة نحو مائة كيلو غراما فيكون المجموع ٨٥٠٠ ض في حين ان في اليمن أماكن كثيرة صالحة لزراعة البن أصبحت ، او خصصت لشجر القات لصار ما ذكره

القات وأضراره

فالقات شجر خبيث اذي الميامون بعض أوراقه الخضرة وتشرب زرعانه في كل يوم وأوقاتهم وهو من العصبة السلاسترية Celastrineae واسمه العلمي Catha edulis . وطنه الاصلي الحبشة ، ومنها انتقل الى اليمن في القرن العاشر او الحادي عشر هجري كما جرى قبله البن والدليل على ان وطن القات هو الحبشة وان اليمانيين ما كانوا يعرفونه قبل القرنين المذكورين هذه العبارة الواردة في صبح الاعشى للقلقشندي (ج٥ ص٣٠٩) قال في بحث الحبشة وعندهم (يعني

نحيفة البنية ، متقدمة السن ، شعرها رمادي فضي ووجهها مفضض . والرجل شيخ قوي البنية ، ذو جسم ضخم على ساقين قصيرتين . يعلو وجهه القاتم المكدّ ، وعينيه المغوليتين ، وشاربه ، قيمة مترهلة . كان يبدو عليه ، أنهُ غير مهتمّ بالدموع الساكبة على الخدود ، مع أن يده المقفزة كانت ترتفع من حين الى آخر فتزيد قبعته ترهلاً واخفاء لعينيه

الجمع شديد الازدحام — وحدان شيخان . . ليس هذا مكانهما . ومع ذلك فان الشيخ ارث الثياب ، القائم في الجمع المحتشد ، كان يستطيع لو أراد أن يسير راكباً يحيط به الحرس الجمهوري ، في يوم ايامه هذا ! فان كليمنصو ، في يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، لو مدّ يده الى فرنسا ، لما رفضت ان تمنحه أي شيء . ولكنهُ لم يرغب إلاّ في التمتع بفرحها ، كأن أبناءها !

كان حينئذٍ اعظم رجال العالم قوة ونفوذاً — اعظم رجل فرنسي بعد نبوليون ! كان وزير حربية فرنسا ورئيس وزرائها المسيطر على قوى الحلفاء ، والقابض على مصير الدول الاوربية ، الذي استطاع وحده ، ان يحفظ فرنسا في صفوف الفتان الى ان استعدت اميركا لخوض معتركها هذا رجل يحبه الناس كثيراً ويبغضهُ الناس كثيراً — هذا هو « ابو النصر » !

كان وحيداً وفي وحدته عظمة لا تسامى ! كان في امكان روزفلت ان يجاريهُ في دمقراطيته ولو كان محله ملكٌ لآثر ان ينحني شبيه من شرفة تجلّلها الاعلام . اما القواد ورجال السياسة فكانوا يفضون تحية الشعب من مركبات تسير يطيف بها كوكبات الفرسان ! ولكنّ كليمنصو كان وحيداً ، لا يسير وراءه رجل من رجال البوليس ، ولا من رجال التحري . خرج من شقته الصغيرة في شارع فرنكلين ، ومرّ بأخته ليصطحبها الى الشوارع والساحات العامة ليشتركا في فرح الامة العظيم

وكان صامتاً — تقريباً . أقول تقريباً لانهُ من شقته المرتفعين خرجت لاول مرة تلك الكلمات ، التي رُدّدت بعد ظفر في رحاب قتادتها املاك البرق — « هذا هو اسعد يوم في حياتي » ! على أن تذكره لم يطل . فالتفت الى العيون ، وحدقت ، ولمحت ، ولم تلبث حتى خرجت من افواه الذين على مقربة منهُ عبارات القسم ، ثم سرت في الجمهور لفظة ما زال يتسع نطاقها وتعلو براياتها حتى خرجت من افواه الالوف « ليحي كليمنصو »

كليمنصو . . كليمنصو . . بعد ما بثت ان تناقلت صداها شوارع باريس ، ما اكتشف الثرى وقف مذعوراً خائفاً ! فزدحم الجمهور حوله واصطخب ، وامتدت ايد وارتفعت ذمات ، وأدّيت تحيات ، وابرقت عيون ! ولمحان ظهر رجال البوليس كأنهُ بعض السحر . فاختفى الشيخان (كليمنصو واخته) في باب من ابواب الجراند اوتل وبعد دقيقة ظهر كليمنصو على شرفة من شرفات الدور الثاني من ناحية دار الاوبرا

وقف هناك مثالاً للقوة ، والجرأة ، فما كان يدخلك انهُ شيخ ! وارتفعت من الشوارع تحتهُ اصوات التهليل ، كهدير عميق ، يختلط فيها نداء « ليحي » بزفرات الفرح والعجة والشكران تكلم كليمنصو ساعتئذٍ ، ولكن أحداً لا يعلم حتى الساعة ماذا قال . كانت باريس حتى تلك اللحظة غير متماسكة الاجزاء في فرحها ، على ضد العواصم الاخرى المحتفلة بانتهاء الحرب ؛ فما كنت تسمع فيها تصفير السفارات ، ولا قرع الطبول . كان شعورها بفرح الانتصار شعوراً مكظوماً فقد كان كل باريسيّ يبتسم — ولكن ما اكثر المبتسمين من خلال الدموع ! — فلما بدا كليمنصو على شرفة الجراند اوتيل ، أطلقت باريس لنفسها العنان ، وكفَّ كليمنصو عن محاولة الكلام ، ولكنهُ قبل ان يكفَّ صاح : لا تنادوا ليحي كليمنصو بل نادوا ليحي فرنسا — ودائماً نادوا ليحي فرنسا ! . وتقهقر راجعاً الى الشرفة فجلس الى جنب شقيقته ووجهه المكدّ يرتعش !

وكان كليمنصو كثيراً ما يختلف مع شقيقته — فيحتدم الجدال بينهما — جدال الاخوة الساخر احياناً الحاد احياناً اخرى ! فلما قالت له ان قد أزف الوقت لعودته الى البيت صاح بها « انك يا شقيقتي حمقاء » ! ومضى الجمهور المحتشد خارج الفندق يصيح كليمنصو... كليمنصو... كأنهُ اتخذ هذا اللفظ قراراً لصياحه طول الليل . وجلس هو في المقعد المخمليّ ، يصغي الى هدير الجماهير في الشوارع وكأنهُ لا يسمعها بمرائه . فكان يبدو على وجهه انهُ بعيدٌ بعيدٌ . اما الرجال العشرة في الشرفة فكانوا اذا ارادوا ان يقولوا شيئاً يتهامسون

ولم تلبث حتى عرفت باريس بأسرها ان « النمر » في شرفته صغيرة في « الجراند اوتيل » وان هذه الشرفة أقبل شخص خطير يريد ان يوجه سؤالاً الى رئيس وزراء فرنسا وزير حربيتها

كان الجمهور قد أقبل على اهراءات المدافع التي غنمت في معارك وأقيمت في ساحة الكونكورد — علاماً للنصر — يهدمها ويجرّ مدافعها الى الشارع والساحات العامة حتى بلغت ميدان الباستيل والضواحي المنضرة خارج معاقل المدينة . فقد يفعل رجال خطف ؟ وهذا الرجل الخطير جاء ليسأل وزير الحربية ان يصدر الاوامر في هذا العدد فأصغى اليه النمر . ثم أتجه الى الداخل ، فاتصلت به الاسلاك بمكاتبة من تلغراف ... وفيها أخبر ... ثم رفع نظره الى الرجل الخطير المحتشد وقال بعدة

« لقد كسبنا الحرب ! اما المدافع ... فدعها للاطفال يلعبون بها » . واشار الى رجل خطير بالخروج قائلاً ... « اعطها للاطفال يلعبون بها » . ثم اغمض عينيه وتلمّس عضلة وجنتيه البارزتين لمست دموعه المتساقطة . ثم نهض متثاقلاً ، واتجه الى شقيقته ليتبعه فأفسح له الجالسون قرب باب الخارج احتراماً . شيخ قوي البنية لم ينحنِ ، وشيخة نحيفة ماسكة بذراعه — أنها صورة عظيمة ان يبقى لنا !